ألا يشكل وقف التطهير الإثني وحرب الإبادة في سورية سبباً كافياً للتدخل الأميركي؟.
ليون فيزيلتير

# تردد أوباما في الشأن السوري: دروس من داخل المعمعة!

LEON WIESELTIER

**يجب أن نعيد البعد الأخلاقي إلى مداولاتنا. يجب أن يشعر الرئيس الأميركي بهذه الأهمية الأخلاقية، وإلا فسيكون أوباما، رغم كل كلامه عن الضمير، قد اعتمد خلال رئاسته شكلاً مشوهاً جداً من الخطاب الأميركي: فصل الضمير عن العمل.**

نقل مراسل زار البيت الأبيض أخيراً خبراً بأن انتقادات رفض الرئيس أوباما اتخاذ أي خطوات بشأن الكارثة السورية "بدأت تؤثر بعمق". ولا شك أن هذا جيد لأن هذه الانتقادات لم تذهب سدى. ومن المؤكد أن حجج الرئيس الواهية عن "خطه الأحمر" كان لها تأثير كبير. فقد أوقع نفسه في مأزق لا يمكنه الخروج منه بالكلام، ما ألحق بالتالي الأذى بإيماننا بالقوى السحرية لخطابه. تحفل الصحف بتقارير عن أن سياستنا قد تتبدل، وأننا قد نمد أخيراً ثواراً يمكننا تقبلهم عقائدياً بالسلاح، وأننا قد عثرنا على هؤلاء الثوار تحت قيادة اللواء سليم إدريس، وهكذا دواليك. كذلك أخبر مسؤول في البيت الأبيض مراسلاً آخر عن إعادة النظر هذه، التي كانت تُعتبر قبل وقت ليس ببعيد مساراً تنازلياً، قائلاً: "نتبع اليوم مساراً تصاعدياً". يبدو أوباما محرجاً إلى حدّ ما من تداعيات أنه كان طوال سنتين مخطئاً بشأن إحدى أهم أزمات رئاسته. لذلك يدفع البيت الأبيض إلى تكرار حضّه القديم على توخي الحذر (تعبيره الكيسنجري المثير للاستهجان الذي يعني الخجل العقائدي). رغم ذلك، يبدو أن الأوضاع بدأت تتبدل. فقد لفت استخدام سورية غاز السارين والغارات الجوية الإسرائيلية (التي نجت بأعجوبة من القوة الخيالية لدفاعات الأسد الجوية)، على ما يبدو، اهتمام الإدارة الأميركية. فهل يؤثر كل ذلك في أوباما ويحمله على التدخل؟ لا أعتقد ذلك. فسياسته المناهضة للتدخل ضاربة في العمق، فلسفياً وشخصياً. ولكن في مطلق الأحوال، يمكننا استخلاص بعض العبر من هذه المعمعة.

**من المؤكد أن حجج الرئيس الواهية عن «خطه الأحمر» كان لها تأثير كبير في إعادة النظر في موقف واشنطن**

### مرارة التأخر

لا نعرف اليوم تفاصيل عن الأسد كنا مطلعين عليها قبل سنة أو أكثر. حتى استخدامه الأسلحة الكيماوية لم يبدل نظرتنا إليه. فلطالما كانت استراتيجيته في هذه الأزمة تحويل ثورة ديمقراطية إلى حرب طائفية. أما الطريقة التي اتبعها لتحقيق ذلك، فشملت ارتكاب جرائم ضد الإنسانية. وفي السنتين اللتين ظلت الولايات المتحدة فيهما صامتة، ازداد الوضع السوري سوءاً، حتى بات مَن يؤكدون اليوم أنه ما من حلول مثالية محقين. ولكنّ ثمة حلولاً غير مثالية، علماً أن هذه غالباً ما تكون الحلول الوحيدة التي تسمح بها حياة الأمم، وفق توماس هوبز: ما زال بإمكاننا إنشاء عناصر موالية للغرب في الصراع من أجل سورية بعد سقوط الأسد، فنحرم بذلك تنظيم "القاعدة" من تشكيل حكومة في دمشق ونحدّ أيضاً من تدفق اللاجئين الذي يزعزع المنطقة برمتها. غير أن الطريق إلى دولة سورية ديمقراطية أطول وأكثر تعقيداً مما كان عليه سابقاً. لا أقول ذلك لأوجه الاتهامات فحسب، بل أيضاً لأن إخفاق أوباما في اتخاذ الخطوات الضرورية سريعاً في الأزمة السورية يسلط الضوء على أخطاء الرؤساء الأميركيين المعتادة بعد الحرب الباردة، ومنها رفض التعاطي مع حالة طارئة كحالة طارئة. يُعتبر الصبر في الكثير من المشاكل التي يواجهها رجال الدولة فضيلة وتصرفاً سليماً وحكيماً. إلا أنه ليس كذلك دوماً. ثمة انتهاكات فادحة للعدالة، مثل ذبح المدنيين، من الضروري التصدي لها من دون أي تأخير. ويجب فهم هذه الحالات بالشكل الصحيح. فعند مواجهة هذه الدرجة من الإلحاح، يعتمد النجاح أو الفشل على الوقت. لمَ علينا تعلّم هذا الدرس مراراً؟ لمَ يجب أن تكلّف الدروس التي يتعلّمها الرؤساء دوماً عدد قتلى كبيراً؟ هل قرأ أحد في البيت الأبيض كتاب سامانثا باور؟

### ثقافة «استراتيجية الخروج»

أخبر مسؤول أميركي بارز يشارك في رسم السياسة السورية، ديكستر فلكنز من مجلة The New Yorker، متشكياً: "يسألني الناس في الكونغرس: ألا يمكننا أن نفرض منطقة حظر جوي؟ ألا نستطيع تنفيذ ضربات عسكرية؟ نستطيع بالتأكيد. لكن المشكلة تكمن في السؤال: أين يتوقف كل ذلك؟". الجواب: لا نعلم. ولكن هل تشكل رؤية الغيب مطلباً ضرورياً لاتخاذ خطوات تاريخية؟ هل يجب أن نعلم النهاية منذ البداية؟ وإن كان ذلك صحيحاً، فلن يقدِم أحد على تأسيس شركة، أو تأليف كتاب، أو اتباع علاج طبي، أو الدخول في علاقة حب. يمكننا التأكد من أهدافنا، إلا أننا لا نستطيع أن نضمن الظروف. تكون الأعمال الأكثر أهمية عادةً مرتجلة، مع أن أهدافها ينبغي أن تبقى دوماً واضحة. تشكّل هالة "إستراتيجية الخروج" في ثقافتنا محاولة أميركية أخرى لننكر عدم يقين التجربة ونؤكد تحكمنا بما لا يمكننا التحكم به. ويتجلى ذلك في حالتنا هذه بالهوس الأميركي بالتحكم في استخدام القوة الأميركية. لكننا نخوض غالباً ما لا نستطيع التحكم فيه. فما من نتائج مضمونة، إلا ربما إذا امتنعنا عن اتخاذ أي خطوات. لا نحتاج إلى التحكم في العالم الذي نتخذ فيه خطوات حاسمة. يكفي أن نملك أسباباً قوية يمكننا تبريرها وأساليب قوية نستطيع الدفاع عنها وأن نبقى حذرين ونحتاط لأي طارئ، محتفظين بمقدراتنا التحليلية. في مطلق الأحوال، ثمة الكثير من السبل (منها الجيد ومنها السيئ) إلى إنهاء التزام عسكري، وأوباما نفسه يدرك ذلك جيداً. ولا يهدف كل هذا الكلام عن إستراتيجية الخروج إلا إلى منعنا من التدخل في المقام الأول. وعلى غرار قريبها "المنحدر الخطير"، تختبئ "إستراتيجية الخروج" بشكل غوغائيّ وراء قناع الحذر.

**تشكل هالة «استراتيجية الخروج» في ثقافتنا محاولة أميركية أخرى لننكر عدم يقين التجربة ونؤكد تحكمنا بما لا يمكننا التحكم به**

### نسيان الوجه الإنساني

لقي سبعون ألف شخص حتفهم في الحرب السورية، معظمهم على يد النظام الحاكم. وبما أن هذا العدد ظهر في الصحف قبل بضعة أشهر، فلا شك في أن الحصيلة الفعلية أكبر بكثير. فقد تسارعت وتيرة القتل. لكن مناقشة التدخل الأميركية تُجرى بوتيرة بطيئة: الخطر الذي تواجهه المصالح الأميركية بسبب المجاهدين في سورية، ومناورات إيران و"حزب الله"، والتهديدات الإسرائيلية، وانجرار الأردن ولبنان والعراق إلى الحرب. لا شك أن هذه كلها أسباب جيدة يجب أن تدفع بالرئيس الأميركي إلى التصرف كرئيس للولايات المتحدة. ولكن ألا يُشكل وقف التطهير الإثني وحرب الإبادة سبباً كافياً؟ هل يُعتبر موت عشرات الآلاف أو حتى مئات الآلاف وتهجير الملايين أقل أهمية وإلحاحاً من السياسة الأميركية؟ يجب أن نعيد البعد الأخلاقي إلى مداولاتنا. يجب أن يشعر الرئيس الأميركي بهذه الأهمية الأخلاقية، وإلا فسيكون أوباما، رغم كل كلامه عن الضمير، قد اعتمد خلال رئاسته شكلاً مشوهاً جداً من الخطاب الأميركي: فصل الضمير عن العمل.

**هل يعتبر موت عشرات الآلاف أو حتى مئات الآلاف وتهجير الملايين أقل أهمية وإلحاحاً من السياسة الأميركية؟**

# هل تمتد الحرب بالوكالة الإيرانية - السعودية إلى العراق؟

Mohammed Ayoob - YALE

**زاد الاحتلال الأميركي الأوضاع سوءاً، مع اتباع السلطات سياسة المحاباة، مفضلةً الشيعة، لأنها اعتقدت خطأً أن معظم السنّة يدعمون صدام حسين ويجب بالتالي ألا يمسكوا بمفاتيح السلطة. فتحوّلت هذه السياسة إلى كارثة.**

طردت الحكومة العراقية قناة "الجزيرة" وغيرها من الشبكات التلفزيونية العربية بعد أن كانت قد رحبت بها في الماضي، متهمةً إياها بتأجيج التوتر الطائفي المحلي. جاء هذا التبدل السياسي في وقت يبدو فيه أن العراق يسير على خطى سورية نحو صراع طائفي يهدد بالتحول إلى حرب أهلية شاملة. صحيح أن الولايات المتحدة وتركيا لا تزالان تؤديان دوراً رئيساً في السياسة العراقية الداخلية، إلا أن هذه الأخيرة ترتكز بشكل رئيس على صراع القوى السعودي- الإيراني والخصومة الشيعية- السنّية المنتشرة في المنطقة، ما يعزز الانقسام الطائفي المحلي في العراق ويدفع به نحو الحرب الأهلية.

في سورية، تُعتبر الطائفية نتاجاً لأربعة عقود من حكم الأقلية العلوية. أما في العراق، فقد انتقلت السلطة إلى الأكثرية الشيعية أو جزء منها من خلال التلاعب بنتائج الانتخابات، ما أشعل الاستياء بين السنّة بسبب شعورهم القوي بالتمييز السياسي.

صحيح أن الأزمة السورية محلية وتعود إلى حكم محلي مستبد لعائلة واحدة وطائفة واحدة، لكن الأزمة العراقية ترجع إلى غزو أجنبي لم يؤدِّ إلى تغيير النظام وعشر سنوات من الاحتلال الأجنبي فحسب، بل إلى دولة شبه فاشلة أيضا. نتيجة لذلك، تخلت الدولة عن توفير الأمن لمواطنيها، ما دفع الأفراد والعائلات إلى اللجوء إلى التضامن الطائفي كاستراتيجية للبقاء.

**هدف إيران في العراق يتجلى بوضوح: الحؤول دون بروز خطر عسكري جديد شبيه بما هدد إيران خلال عهد صدام حسين**

زاد الاحتلال الأميركي الأوضاع سوءاً، مع اتباع السلطات سياسة المحاباة، مفضلةً الشيعة لأنها اعتقدت خطأً أن معظم السنّة يدعمون صدام حسين ويجب بالتالي ألا يمسكوا بمفاتيح السلطة. فتحوّلت هذه السياسة إلى كارثة لأنها أدت إلى تمرد سنّي وبروز تنظيم "القاعدة" في العراق خلال سنوات الاحتلال الأولى، ما عمّق الفجوة في العلاقات السنّية- الشيعية في العراق. ولا شك في أن الانقسامات الطائفية في العراق كانت ستبدو أقل بروزاً اليوم لو أن عملية الانتقال من نظام صدام إلى حكومة جديدة ينتخبها الشعب حدثت من دون تدخل أجنبي. وفي ضوء هذه الخلفية لم تستطع الدولة عندما عاودت الظهور على المسرح خلال السنوات الأخيرة أن تخلع عنها الصبغة الطائفية بالكامل، وهو الأمر الذي وضع بذور الأزمة الراهنة في العراق.

ازدادت الأوضاع سوءاً في العراق وبالنسبة إلى العراقيين لأن هذا البلد تحوّل، كما سورية، إلى مسرح كبير لحرب بالوكالة بين إيران والمملكة العربية السعودية، مع اضطرار تركيا بحكم الظروف إلى تبني دور مناهض لإيران، مخالفةً بذلك على الأرجح ما تظنه قيادتها السياسية الأفضل. وبما أن المملكة العربية السعودية وتركيا لاتزالان كلتاهما حليفتين للولايات المتحدة، يظهر جلياً أن ثمة حرباً بالوكالة داخل الحرب بالوكالة في العراق، حرباً بين إيران والولايات المتحدة التي تعتبر طهران عدوها الرئيس في الشرق الأوسط الغني بالطاقة والبالغ الأهمية من الناحية الاستراتيجية.

يتجلى هدف إيران في العراق بوضوح: الحؤول دون بروز خطر عسكري جديد شبيه بما هدد إيران خلال عهد صدام حسين، خطر برز عام 1980 خلال الغزو العراقي لإيران، الذي أدى إلى صراع دموي دام ثماني سنوات وخلّف مليون قتيل.

لا تشكل ورقة الشيعة الطائفية التي تلعبها إيران في العراق لمنع ظهور هذا الخطر مجدداً سوى أداة لتحقيق هذه الغاية. فلا يقوم الهدف الإيراني الرئيس على تأسيس هلال شيعي في العالم العربي لأن ذلك يتناقض مع هدفها الأوسع: الفوز بأصدقاء جدد واستمالة شخصيات نافذة في الشرق الأوسط السني بغالبيته، وهذا بالتأكيد شرط أساسي كي يُعترف بها كقوة كبرى في المنطقة.

لا شك في أن رغبة إيران في أن تصبح قوة إقليمية كبرى في الشرق الأوسط تجعلها تصطدم بالمملكة العربية السعودية، التي تملك طموحات مماثلة نظراً إلى ثروتها النفطية الضخمة وإشرافها على الأماكن الإسلامية المقدسة. بالإضافة إلى ذلك، تتنافس السعودية وإيران على السيطرة على الخليج العربي حتى قبل الثورة الإسلامية في إيران. وقد اشتد هذا الصراع على السيطرة مع التحدي العقائدي الذي شكّلته الثورة الإيرانية منذ عام 1979 على المملكة العربية السعودية ونظام الحكم بها.

أدى اجتماع هذين العاملين إلى تمويل السعوديين، بمساعدة دول الخليج الأخرى، الحرب التي قادها صدام حسين ضد إيران خلال ثمانينيات القرن الماضي، فضلاً عن تشكيله الدافع وراء سلوك النظام السعودي راهناً تجاه إيران.

في هذا الإطار، أبدت الرياض والبلدان السنّية الحليفة، بما فيها ممالك الخليج والأردن، في أكثر من مناسبة تخوفها من أن يسيطر هلال شيعي يشمل إيران والعراق وسورية الأسد ولبنان الخاضع لسيطرة "حزب الله"، على الشرق الأوسط ويفرض سياسته على المنطقة. ومن هنا تبرز أهمية العراق بالنسبة إلى المملكة العربية السعودية، فهو يمثل أداة وصل بين العرب في دول الخليج، التي تعتبرها السعودية باحتها الخلفية، والهلال الخصيب، القلب التقليدي للعالم العربي ومهد القومية العربية.

لا عجب، إذن، في أن يتحول العراق، كما سورية، إلى مسرح مهم للتنافس السعودي-الإيراني. فتدعم طهران حكومة المالكي، في حين تعارضها الرياض بشدة.

تُظهر إحدى برقيات وزارة الخارجية الأميركية المسرّبة أن العاهل السعودي، الملك عبدالله، أخبر مستشاراً بارزاً في شؤون محاربة الإرهاب في إدارة الرئيس الأميركي باراك أوباما في شهر مارس عام 2009: "لا أثق بهذا الرجل (المالكي). فهو عميل إيراني". وفي برقية مسربة أخرى تعود إلى 24 سبتمبر عام 2009، ذكر كريستوفر هيل، الذي كان آنذاك السفير الأميركي إلى العراق، أن الصراع السعودي- الإيراني يدور في العراق بصفته "اللعبة الكبرى في بلاد ما بين النهرين".

ازدادت الأوضاع سوءاً في الآونة الأخيرة نتيجة رد فعل حكومة المالكي المبالغ فيه تجاه تظاهرات المعارضة، ما أدى إلى مقتل العشرات. فبدا أن العراق يتجه مجدداً نحو هاوية الحرب الأهلية، سائراً على خطى جارته سورية، حيث تتواجه إيران والسعودية مرة أخرى، مضطلعةً الأولى بدور الداعم الرئيس لنظام الأسد والثانية بدور مزود الأموال والسلاح الأكبر للمعارضة السنّية بغالبيتها.

وكما أننا لا نستطيع تعليل المعمعة السورية من دور الرجوع إلى تدخل القوى الخارجية، كذلك لا يمكننا تفسير تراجع العراق إلى صراع أهلي من دون الإشارة إلى مناورات القوى الخارجية، خصوصاً المملكة العربية السعودية وإيران.

علاوة على ذلك، يبدو أن سيناريو مماثلاً يظهر في أفغانستان مع دعم جارتيها باكستان وإيران مجموعات إثنية مختلفة وتشكيلات سياسية تخوض عادةً صراعاً عنيفاً على السلطة. ومن المحتمل أن يؤدي رحيل قوات حلف شمال الأطلسي من أفغانستان بحلول نهاية عام 2014 إلى تأجيج الحرب الأهلية وتسهيل تفسير تدخلات اللاعبين الإقليميين. وهكذا تتلاقى الانقسامات المحلية والخصومات الإقليمية بدقة في الشرق الأوسط الكثير التقلبات.

**يبدو أن العراق يسير في الآونة الأخيرة على خطى سورية نحو صراع طائفي يهدد بالتحول إلى حرب أهلية شاملة**

**هدف إيران الرئيس ليس تأسيس هلال شيعي في العالم العربي لأن ذلك يتناقض مع هدفها الأوسع: الفوز بأصدقاء جدد واستمالة شخصيات نافذة في الشرق الأوسط السني بغالبيته**